(توثيق التراث الغنائي الليبي طموح وافاق)

أحمد عبد الله دعوب (ليبيا

المقدمة

منذ منتصف القرن التاسع عشر ميلادي أنتشرت في بعض الدول الأوروبية العديد من المحاولات الجادة من الدراسات والأبحاث العلمية والتجارب التي اهتم بها الباحثون الموسيقيون لاسيما ممن اعتنوا بحفظ التراث الموسيقى والغنائي بكافة انواعه واشكاله وقد اسهم هذا الحدث في انتشار الدراسات الجادة المختصة بجمع وحفظ التراث الموسيقي وتدوينه الأمر الذي دفع العديد من الدول إلى الإسراع في إنشاء المراكز المتقدمة بأبحاث الموسيقى وفتح افاق التعاون مع الأكاديميات العلمية والمعاهد الموسيقية.

كما نشطت الجمعيات الأهلية ولعبت دوراً هاما في حفظ التراث الموسيقي وتدوينه بمختلف أنماطه واشكاله ولا شك أن الدراسات العلمية ومناهج البحث والتوثيق التي انتشرت منذ عقود والتي لاتزال مستمرة إلي يومنا قد أفرزت الكثير من الخبرات والكفاءات التي كان لها إسهامها الكبير في تحقيق قدر لابأس به من النتائج الهامة في الحفاظ على ذاكرة الشعوب الموسيقية التي تعد في حقيقتها الذاكرة الحاضرة للتاريخ الموسيقي والغنائي لهذه الشعوب ومنطلقاً للأجيال الجديدة وامتداداً له .

ونحن من خلال هذا البحث نسلط بعض الضوء بالدراسة والتوضيح على التجربة الليبية الحديثة لجمع وتوثيق التراث الموسيقي والغنائي الليبي والتي اخدت من المؤسسة الرسمية منطلقاً لها من خلال المركز القومي لبحوث ودراسات الموسيقي العربية وإن كانت متأخرة بعض الشيء ولكنها في الحقيقة تعد خطوة مهمة لتبنى عليها خطوات آخرى هامة تسهم في انطلاق مبادرات رسمية جادة لتصبح هناك مرجعية مثلى لتداول التراث الفني والتعريف به وبأهميته الفنية والتاريخية عبر الاجيال .

(البحث)

أسهم أتساع الرقعة المساحية لليبيا إسهاماً مباشراً في التنوع التراثي الموسيقي والغنائي الليبي المزوج بخليط من الثقافات الموروثة من سكان المناطق المختلفة في ليبيا .

أبتداء من مدينة طرابلس حيث فن المالوف والإنشاد الديني والأغنية الطرابلسية وأغاني الزمزمات[1] وغيرها من فنون الغناء الشعبي .

[1]- فرق نسائية للأفراح .

إلى واحات الجفرة بالمنطقة الوسطى لليبيا والتي تظم مدن سوكنة ، هون، ودان، زلة ، بأنماطها الغنائية وقوالبها المتعددة وإيقاعاتها المتنوعة .

وصولاً للجنوب الليبي حيث مدينة مرزق مصدر الفن المرزقاوي والمتمثل في الأغنية المرزقاوية ذات الشخصية المتفردة والتي تعدت حدودها وأنتشرت انتشاراً واسعاً وذلك بفضل جمالها وروعتها وتكوينها الإيقاعي واللحني الفريد غير أنه لم يحظ هذا التراث في ليبيا بالجمع والتوثيق المبكر عبر مراحله التاريخية المختلفة رغم وجود بعض المحاولات المتواضعة لذلك .

إذ يعتبر جمع وتوثيق وأرشفة التراث الموسيقي والغنائي الليبي من الأولويات المهمة والملحة التي شغلت بال المهتمين بهذا الشأن منذ عقود باعتباره مشروعاً وطنياً بأمتياز .

إلا أن هذا المشروع لم يجد له صداً لدى الجهات الرسمية والمسؤولة وذلك لغياب الوعي بقيمته الفنية والتاريخية غير أن استمرار المحاولات الفردية لدى هواة الفن ضلت مستمرة على مستوى ضيق ومحدود .

أذ يعد إنشاء المركز القومي للبحوث والدراسات الموسيقية العربية مطلع عام ١٩٨٣م أولى الخطوات الرسمية الجادة لتنفيذ هذا المشروع الوطني في مرحلته الأولى والذي يهدف لجمع وتوثيق وأرشفة التراث الغنائي الليبي فضلاً على ترسيخ الهوية المحلية والتعريف به وبقيمته الفنية.

ولعل الأهداف الرئيسية للمركز كما جاء في قرار الإنشاء الصادر من اللجنة الشعبية العامة سابقاً له من الصلاحيات ما يمكنه من تنفيذ هذه الأهداف بكل سهولة ويسر وقد أتت هذه الأهداف كالآتي :

(أهداف المركز القومي لبحوث ودراسات الموسيقى العربية)

١- جمع وبحث ودراسة ونشر التراث الموسيقي في ليبيا والتعريف به والدعوة إلى إقامة المؤتمرات والندوات والمهرجانات التي توظف التراث في خدمة الإنسانية .

٢- إجراء المسوحات الميدانية لجمع وتوثيق وتدوين الألحان والأغاني والقيام بالبحوث حولها وإصدار المطبوعات بشأنها .

٣- جمع وبحث وتحقيق المخطوطات القديمة من مؤلفات والتي تعنى بالفنون الموسيقى العربية.

٤- إنشاء مكتبة أدبية فنيه علمية تاريخية .

٥- العمل على تحقيق الملكية الفكرية (الأدبية والفنية والعلمية) .

٦- يسعي المركز لطبع وتسجيل وتوزيع المختارات من فن المالوف والموشحات والألحان التراثية الليبية والعربية .

٧- إنشاء الفرق الفنية الموسيقية الغنائية المتكاملة .

غير أن عجز الإدارات المتعاقبة على المركز القومي منذ تأسيسه على تحقيق ولو جزء يسير من هذه الأهداف الهامة كان له الأثر السلبي في تلاشي وضياع قدر لا بأس به من الرصيد التراثي الليبي واستدراك ما يمكن إستدراكه من أفواه مشايخ وفنانين و رواة هذه الفنون الغنائية المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة .

(مراحل توثيق التراث الموسيقى والغنائي في ليبيا)

لعل أهم هذه المحطات التوثيقية تشكيل لجنة جميع التراث الغنائي الأندلسي.

(فن المألوف) سنة ١٩٦٤ والتي شكلت بقرار من وزير الثقافة الدكتور خليفة التليسى رحمه الله وكانت تظم نخبة من مشائخ فن المالوف وعلى رأسهم المشائخ .

الشيخ محمد أبو ريانة والشيخ خليفة الرماش والشيخ على منكوسة والشيخ محمد قنيص رحمه الله وقد تم توثيق عدداً لا بأس به من نوبات فن المالوف بالإذاعة الليبية والتي تعد الآن المرجعية الأولى لفن المالوف في ليبيا .

يليها ما قامت به فرقة المدائح والإنشاد الديني من إسهام فعال في توثيق فنون الإنشاد والمدح وتم تسجيل وصلات من هذا الفن بالإذاعة الليبية والتي يعد هذا الرصيد التوثيقي رصيداً هاماً لدي البحاث والمهتمين بهذا اللون الغنائي .

وكانت الفرقة تظم كوكبة رائعة من أهم مشائخ فن المديح في ليبيا على رأسهم المشائخ:-

- الشيخ فاتح النعال .

- الشيخ عبد الباسط النعال .

- الشيخ عبد القادر الجزيرى .

- الشيخ خليفة الفرجاني .

- الشيخ شعبان التركي .

- الشيخ محمد بن سعيدان .

فرقة المدائح والإنشاد الديني بالإذاعة الليبية

كما تم تسجيل وصلات توثيقية أخرى لفنون الغناء الشعبي المتداول في ليبيا، بمختلف أنماطه وأشكاله .

بالإضافة للمحاولات الفردية لبعض مشائخ فن المالوف بتسجيل عدداً من النوبات المسموعة بالإذاعة الليبية ومن أهم هؤلاء المشائخ.

١- الشيخ حسن الكعامي رحمه الله .

٢- الشيخ محمد قنيص .

٣- إضافة إلى حصص تعليمية للشيخ محمد أبو ريانة رحمه الله وتسجيله لقطع غنائية منفردة لفن المالوف .

بالإضافة إلى إسهام الفرق الرسمية لفن المالوف والموشحات والأغاني التراثية وهي كالآتي :

١- تسجيلات للمجموعة الصوتية الأولى لفرقة الإذاعة الليبية حيث تم تسجيل مجموعة من نوبات المالوف .

٢- تسجيلات مسموعة ومرئية لفرقة المالوف والموشحات والألحان العربية بقيادة الفنان حسن عريبي رحمه الله .

٣- تسجيلات مرئية ومسموعة لفرقة الشروق للمالوف والموشحات والمنوعات الغنائية .

وتمثل هذه التسجيلات رصيدا لا بأس به يمكننا في إثراء المشهد الفني والتراثي في ليبيا .

وبناء على ما تقدم وإيماناً بقيمة وأهمية التراث الغنائي الليبي وضرورة توثيقه وأرشفته بأسلوب علمي حديث جاء قرار تكليف الأستاذ الباحث – أحمد عبد الله دعوب بإدارة التوثيق والإعلام بالمركز القومي لبحوث ودراسات الموسيقي العربية .

حيث تم أستحداث هذه الإدارة مطلع سنة ٢٠١٦ لتكون نقطة الإنطلاق في أولى خطوات تكوين المرجعية المثلي لتداول التراث الموسيقي والغنائي في ليبيا على أسس سليمة وصحيحة .

وقد أتت اختصاصات هذه الإدارة الوليدة على النحو الآتي :-

١- توثيق الملكية الأدبية لتراث الموسيقى العربية .

٢- العمل على إعداد البيانات والمعلومات اللازمة .

٣- توثيق وتحقيق المخطوطات من المؤلفات القديمة التي تعني بالفنون الموسيقية .

٤- متابعة ما يرد عبر وسائل الإعلام المختلفة محلياً وعالمياً من مواضيع حول موسيقى الشعوب والعمل على حفظها والإستفادة منها في مجال البحث العلمي للمركز .

٥- توثيق المهرجانات الأدبية والموسيقية من خلال الإذاعتين المرئية والمسموعة .

٦- العمل على توفير الصحف والمجلات ذات الاختصاص للمركز .

٧- تصميم وإعداد الموقع الإلكتروني للمركز .

٨- نشر نشاطات المركز على شبكة المعلومات الدولية .

(إدارة التوثيق والإعلام وأرشفة التراث)

في خطوة مهمة هي الأولى من نوعها باشرت إدارة التوثيق والإعلام (المركز القومي للبحوث ودراسات الموسيقي العربية) مشروعها الوطني بتأسيس أرشيف فني يرصد ويسجل مراحل وأطوار مسيرة الفن والإبداع في بلادنا ليكون قاعدة للأنطلاق للحفاظ على التراث الموسيقي والغنائي لبلادنا والتعريف به وبقيمته الفنية والحضارية .

ولعل من أهم مكونات هذا الأرشيف ..

١- جمع وأرشفة التسجيلات المسموعة والمرئية لفنون الغناء والموسيقى بمختلف أنماطها وأشكالها من الأغنية الليبية إلى فن المالوف وفن القصائد والأناشيد الدينية بالإضافة إلى القوالب الغنائية والموسيقية الأخرى في ليبيا .

٢- جمع وأرشفة التسجيلات المسموعة والمرئية لبرامج التي تعني بالموسيقي والغناء ورموزه الإبداعية .

٣- إعداد تراجم وسير ذاتية للفنانين والموسيقيين والملحنين وشعراء الشعر الغنائي بالإضافة لمشايخ فن المالوف والقصائد والغناء الشعبي .

٤- جمع صور شخصية لهؤلاء الرموز الفنية وكذلك صورة للفرق الموسيقية في مراحلها المختلفة.

٥- إنشاء مكتبة مقروءة ويتم جمع المراجع والإصدارات والمخطوطات المهمة والتي تخص التراث الموسيقي والغنائي وذلك لتكون في متناول البحاث والمهتمين والدارسين .

٦- العمل على جمع التسجيلات النادرة لمختلف فنون الغناء .

ونظرا لما تمثله إدارة التوثيق من أهمية هامة في جمع وتوثيق الوثائق المهمة ذات الاختصاص وأرشفتها وتحقيقها ومن ثم عرضها عبر وسائل العرض المختلفة لتكون في متناول ذوي الاختصاص من بحاث ومهتمين وهواة التراث الموسيقي والغناء .

وأنطلاقاً من هذه الأهداف الرئيسية لتفعيل دور المركز وتحقيق أهدافه التي أنشئ من أجلها باشرت إدارة التوثيق والإعلام بالمركز أعمالها وسعيها لتأسيس أرشيف يعني بالتراث الغنائي الليبي .

وذلك باستهداف مصادر الوثائق المختلفة الهامة ذات الاختصاص والتنسيق مع هذه الجهات للحصول على كل ما هو يخدم متطلبات هذا الشأن فقد تم التواصل والتنسيق مع العديد من الجهات الرسمية والغير رسمية لتحقيق هذه الغاية ونذكر من هذه الجهات :-

- الإذاعة الوطنية الليبية وباقي الإذاعات المحلية .
- مراكز الموسيقى في العالم العربي .
- هواة جمع التسجيلات الفنية .

بالإضافة لما ينشر من خلال شبكة المعلومات الدولية من تسجيلات ومراجع وصور من شأنها إثراء الأرشيف .

(أقسام الأرشيف)

تم إنشاء قسمين للأرشيف وذلك من خلال الهيكل التنظيمي للإدارة بعد اعتماده من السيدة مدير عام المركز وإنطلاق العمل كمرحلة أولى .

❖ قسم الأرشيف المسموع والمرئي .

❖ قسم الأرشيف المقروء .

١- (القسم المسموع والمرئي)

ويضم هذا القسم الوثائق المسموعة والمرئية الواردة بعد العمل على تحقيقها ودراستها ورقمنتها وإيداعها برقم تسلسلي بالأرشيف .

❖ برامج إذاعية لرموز الفن والموسيقي والغناء في ليبيا .

❖ تسجيلات إذاعية للأغاني الليبية وكذلك الأغاني التراثية ونوبات المألوف وباقي أنماط الغناء الشعبي والتقليدي في ليبيا .

٢- (القسم المقروء)

ويضم هذا القسم الوثائق المقروء التي تعنى بالموسيقى والتراث الغنائي الليبي .

❖ كتب الموسيقي والغناء والتراث الليبي أو نسخ إلكترونية منها .

❖ المخطوطات القديمة لفنون الغناء والموسيقى والمالوف الليبي والمغاربي .

❖ تراجم وسير ذاتية لإعلام الموسيقي والغناء في ليبيا وقوائم بأعمالهم الغنائية .

❖ صور شخصية لإعلام الموسيقي والغناء والتراث في ليبيا وكذلك صور للفرق الغنائية في ليبيا عبر مراحل مختلفة .

(النماذج المختارة من الأرشيف)

حقق العمل من خلال جمع الوثائق المختلفة ذات العلاقة نجاحاً لا بأس به مقارنتاً بالوقت الزمني للعمل المنجز وحالت الوضع التوثيقي الليبي في هذا الصدد وذلك من خلال أهمية الوثائق التي تم توثيقها

وأرشفتها بأرشيف إدارة التوثيق والإعلام بالمركز والتي لنا السبق في دخولها لليبيا وأرشفتها من خلال إدارة التوثيق والإعلام بالمركز القومي لبحوث ودارسات الموسيقى العربية.

والعمل على دراستها وتحليلها ومن ثم إيداعها بمكتبة الأرشفية بالمركز القومي لبحوث ودراسات الموسيقى العربية .

(النماذج المسموعة)

نظراً لافتقار المكتبة المحلية للوثائق المسموعة والمرئية التي تخص التراث الغنائي الليبي بمختلف مكوناته الفنية وذلك منذ مطلع القرن الماضي فلا وجود ولا أثر لأي وثيقة منذ النصف الأول من القرن الماضي أي ما قبل افتتاح الإذاعة الليبية سنة ١٩٥٧ ميلادي .

ومن هذا المنطلق بدأ العمل على تكثيف الجهود لجمع ولملمة هذا الشتات الفني وتكوين قاعدة أولى للإنطلاق .

ولعل من أهم هذه الوثائق المسموعة ما تم إستلامه من (المؤسسة الوطنية للصوتيات والمرئيات) إيطاليا – روما .

وهي عبارة عن تسجيلات على أقراص CD تم نسخها من إسطوانات طبعت في إيطاليا وسجلت في طرابلس سنة ١٩٣١ م .

وهذه التسجيلات تعتبر وثائق غاية في الأهمية لندرتها فهي ترصد وتكشف لنا عن أنماط وأساليب الغناء المختلف الذي كان في المجتمع الطرابلسي في تلك الفترة الزمنية المبهمة ونذكر على سبيل المثال لا الحصر

١- الغناء الطرابلسي .

٢- فن المالوف .

٣- أغاني الأفراح (فرق زمزمات).

٤- أغاني المولود (فرق زمزمات) .

٥- توديع الحجيج .

٦- أناشيد الطرق الصوفية (الطريقة العيساوية) .

٧- أغاني الحمالين .

٨- أغاني نوم للأطفال .

٩- سهر الليل (المسحراتي) .

بالإضافة لبعض الأهازيج المختلفة التي كانت سائدة في طرابلس وتسجيلات أخرى هي الأن محل دراسة وتحقيق .

(نموذج ١)

أغنية طرابلسية سجلت عقد الثلاثينات من القرن الماضي بصوت المطرب الشهير الطرابلسي اليهودي سيون محلولة **بعنوان**

شقي خاطري والعقل ما هناني .

وهذه الوثيقة أيضاً تفتح لنا باباً للبحث حول نسبة هذا اللحن الطرابلسي الذي كثر حوله النقاش لدى أهل البحث والاختصاص الموسيقي .

(نموذج ٢)

كما تعد من المفقودات في ليبيا أعمال الفنان الليبي بشير فحيمة والذي اشتهر باسم بشير فهمي ١٩٠٧ – ١٩٧٢ م وذلك بحكم هجرته لتونس سنة ١٩٢٤ وكما هو معلوم له أعمال غنائية كثيرة من نظمه وألحانه وغنائه وظلت أعماله الغنائية التي سجلها بصوته من النوادر ومن هذه النوادر نستمع لأغنية

١- أغنية أنا قلبي طاب من بابا

من كلمات وألحان وغناء بشير فحيمة

سجلت أسطوانة عقد الثلاثينات من القرن الماضي شركة بيضفون

وهذه الوثيقة الهامة تثبت بأن الأغنية للفنان بشير فحيمة والتي نسبت خطأ في القطر التونسي بأنها للفنان اليهودي (آشير مزراحي)

كما وجب الإشارة بأن المكتبة المسموعة بالمركز لديها العديد من هذه الوثائق السمعية الهامة للتراث الفني الليبي بمختلف أنماطه وأشكاله .

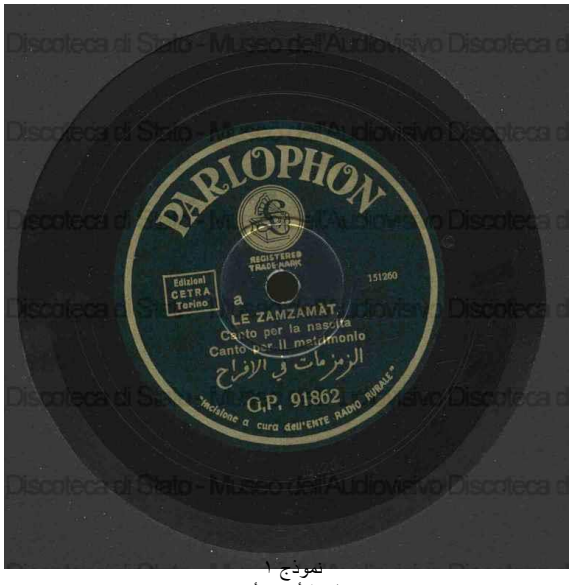

نموذج ١
إسطوانة أغاني أفراح
المؤسسة الوطنية للصوتيات والمرئيات – إيطاليا روما

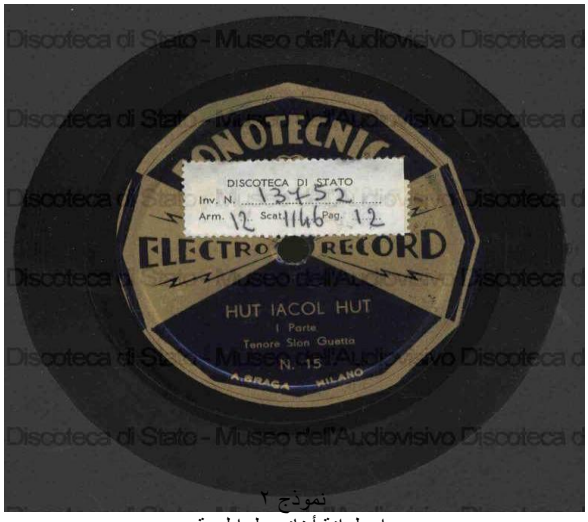

نموذج ٢
إسطوانة أغاني طرابلسية
المؤسسة الوطنية للصوتيات والمرئيات – إيطاليا روما

(النماذج المقروءة)

بحمد الله وتوفيقه استطعنا من خلال التواصل مع الجهات المختلفة بجمع قدراً لا بأس به من الكتب والمخطوطات وسفائن فن المالوف والتي من شأنها إثراء المشهد الفني في ليبيا وفتح أفاق البحث لدي البحاث والأكاديميين في علوم الموسيقى .

ومن بين هذه الوثائق الهامة

مخطوط الحاج على بن محمد بن عبد ربه وكنيته الفداوي المتوفى سنة ١٩٠٣ والذي نسخ المخطوط أواخر القرن التاسع عشر والذي فرغ من نسخه أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٣ ه ما يوافق مايو ١٨٨٦ ميلادي والذي طبعته وزارة الثقافة التونسية سنة ١٩٩٨ م نسخه غير تجارية والذي يحوي بين طياته كنوز فن المالوف ونظرا لأهمية هذا المخطوط التاريخي تمت الإستعانة به لاستكمال النصوص المبتورة والناقصة في المالوف الليبي التي تضاف أول مرة عبر تاريخ فن المالوف في ليبيا ويتم الأن العمل على إصدار سفينة المالوف الليبي .

بالإضافة للعديد من المخطوطات الهامة والإصدارات الحديثة لفن المالوف بالجزائر والتي من شأنها إثراء المشهد الفني في ليبيا .

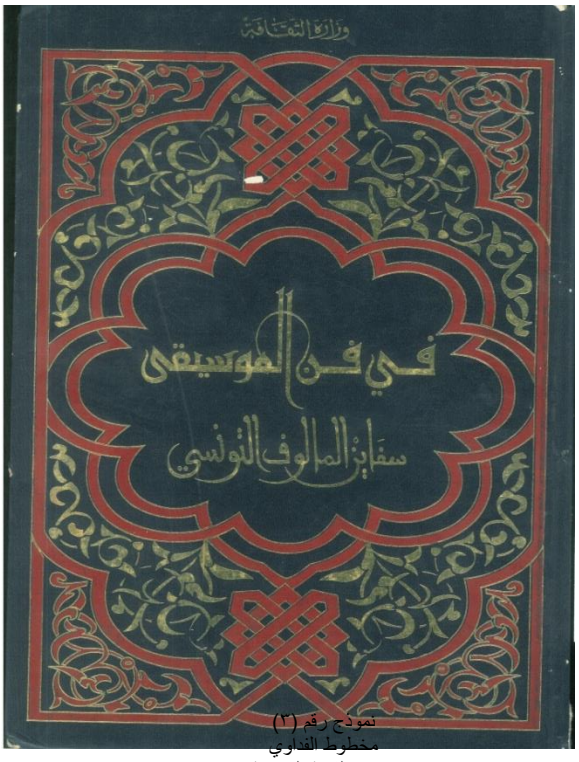

نموذج رقم (٣)
مخطوط الفداوي
وزارة الثقافة التونسية

وكذلك من خلال هذا القسم تم العمل على توثيق وتحقيق العديد من الصور الهامة والتي من شأنها فتح أفاق البحث والاستفادة منها من خلال إنشاء متحف التراث الموسيقى الليبي والموقع الإكتروني (بوابة التراث الفني الليبي) من إنشاء وإشراف المركز القومي لبحوث ودراسات الموسيقى العربية .

نموذج رقم (٤)
فرقة فلكلور الطرابلسي
أرض المعارض برلين – ألمانيا ١٩٢٧ م

الختام

وبناء على ما تم عرضه لهذه التجربة الحديثة والتي تعد في حقيقتا خطوة هامة لرصد وتوثيق فنون الموسيقي والغناء في ليبيا عبر مراحله التاريخية المختلفة ولفتح أفاق جديدة ومد جسور المعرفة وكذلك موضحين أهمية دور المؤسسة الرسمية بالأخذ بزمام المبادرة في تأسيس المرجعية المثلي والصحيحة للتراث الغنائي المحلي والإسراع في تشكيل لجان لجمع التراث الغنائي بمختلف أشكاله وأنماطه وتوثيقه من أفواه المشائخ وأهل الصنعة حفاظاً على ما تبقي من هذه الفنون المتوارثة والمهددة تهديداً مباشراً بالتلاشي والضياع وذلك من خلال اللجان المشتركة مع أهل الاختصاص والموسيقى ولتكون نقطة إلتقاء بين العلم والخبرة في تحقيق الهدف المشترك والمنشود وهو جمع شتات تراثنا الغنائي وتوثيقه الذي يمثل لنا الهوية والانتماء والذي تفتخر به عبر الأجيال .

المراجع

١- جدلية النص والخطاب

إشكاليات التدوين الموسيقي والتوثيق المؤتمر الدولي السادس جامعة صفاقس المعهد العالي للموسيقي بصفاقس ٣-٤ أبريل ٢٠١٨ .

٢- الشيخ خميس ترنان

الدكتور صالح المهدي نشر المعهد الرشيدي للموسيقي التونسية ١٩٨١ .

٣- الفن والمسرح في ليبيا

بشير محمد عريبي الدار العربية للكتاب تونس – ليبيا ١٩٨١ .

٤- مدخل إلى المقام الليبي

السنوسي محمد البيجو ٢٠١٣ .

٥- مجلة البحث الموسيقي

مجمع الموسيقي العربية ٢٠١٧ .